الفصل السابع

ابن رشد الحفيد وأثره فى المجتمع الأندلسى([1])

المبحث الأول: أسرة ابن رشد

المبحث الثانى: حياة ابن رشد ومصادر فكره

المبحث الثالث: الدور السياسى لابن رشد الحفيد:

المبحث الرابع: أثر ابن رشد فى الحياة الاجتماعية

المبحث الخامس: أثر ابن رشد فى الحياة العلمية

المبحث السادس: موقف ابن رشد من الفرق الإسلامية والصوفية

المبحث السابع: نكبة ابن رشد ودوافعها

[1] ألقي هذا البحث كمحاضرة بسمنار كلية التربية – جامعة عين شمس فى الجلسة الافتتاحية للموسم الثقافى 2017/2016م.

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول: أسرة ابن رشد

تعد أسرة ابن رشد من الأسر العلمية الأندلسية التي استفاض خبرها، وتسلسل العلم بين أبنائها، وأَثْرت المذهب المالكي باجتهاداتها وفتاويها ومؤلفاتها، فقد مارست الفتوى والقضاء، والتدريس، إضافة إلى أنها من أكثر الأسر وجاهة في الأندلس. إذ كانت تمثل إحدى بيوتات العلم والنباهة العريقة بقرطبة[1].

استوطنت هذه الأسرة مدينة سرقسطة من الثغر الأعلى بالأندلس، ثم انتقلت إلى قرطبة من غرب الأندلس فاستقرت بها[2]، وفيما يلي عرض لأشهر أعلام هذه الأسرة وأثرهم فى المجتمع الأندلسى.

أولا: ابن رشد رأس الأسرة: أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن رشد القرطبي والد أبي الوليد ابن رشد الجد كان حيا سنة (482هـ)، وقد وصفه ابن عبدالملك المراكشي بقوله:"كان من أهل العلم والجلالة والعدالة"[3].

ثانيا: ابن رشد الجد (ت520هـ): محمد بن أحمد بن محمد بن رشد أبو الوليد القرطبي ولد سنة (455هـ)، وكان فقيها مالكيا، حافظا للفقه، مقدما فيه على جميع أهل عصره، عارفا بالفتوى، بصيرا بأقوال أئمة المذهب، إليه المرجع في حل المشكلات، متفنناً في العلوم، بصيراً بالأصول والفروع، نافذا في علم الفرائض والأصول، من أهل الرياسة في العلم، والبراعة والفهم، مع الدين والفضل، والوقار والحلم، والسمت الحسن، والهدي الصالح[4]. تولى قضاء قرطبة للمرابطين، ثم استعفى للانكباب على تأليف البيان والتحصيل، فأعفي، وتفرغ لنشر كتبه وتصانيفه ومؤلفاته[5].

---

[1] الضبى: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008م، ص168 ؛ و أنظر: ابن فرحون: الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، 1/221 ؛ محمد عبدالله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001م، 4/721.

[2] عبدالرحمن التليلى: ابن رشد فى المصادر العربية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م، ص15.

[3] أنظر: الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة، 1/28.

[4] البناهى: تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط5، 1983م، ص98،99.

[5] نفسه، ص99.

وقد كان لابن رشد الجد أثراً واضحاً فى الحياة العلمية من خلال مصنفاته التى غلب عليها الطابع الفقهى والحديثى ومنها:

1- المقدمات الممهدات لما في رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات.

2- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة.

3- اختصار مختصر المبسوطة ليحيى بن إسحاق بن يحيى بن يحيى.

4- المسائل في االفتاوى.

5- تهذيب كتاب الطحاوي في مشكل الآثار.

6- التقييد والتقسيم.

7- المقدمة الفقهية، وهو جزء في أحكام العبادات([1]).

كذلك حرص ابن رشد الجد على إبراز دوره فى مواساة الرعية وقضاء حوائج الناس لا سيما عقب المعارك التى كانت تقع بين المسلمين والنصارى، وهو ما يوضحه البناهى([2]) بقوله:"وكان الناس يلجؤون إليه ويعولون في مهماتهم عليه وكان حسن الخلق سهل اللقاء كثير النفع لخاصته وأصحابه جميل العشرة لهم حافظا لعهدهم كثير البر بهم..... وكان أيام حياته توجه إلى المغرب إثر الكائنة التي كانت بين المسلمين والنصارى بالموضع المعروف بالرنيسول وذلك منتصف شهر صفر عام عشرين وخمسمائة فاستخار القاضى أبو الوليد في النهوض إلى المغرب مبينا على أمير المؤمنين علي بن يوسف بن تاشفين بالجريرة عليه فوصل إليه فلقيه أكرم لقاء وبقي عنده أبر بقاء حتى استوعب في مجالس عدة إيراد ما أزعجه إليه

---

[1] عياض اليحصبي: الغنية، تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1402هـ، ص 54 ؛ وانظر: الذهبى: سير أعلام النبلاء،19/501 ؛ البناهى: تاريخ قضاة الأندلس، ص99 ؛ محمد محمد مخلوف: شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية، ص 129.

[2] اعتمدنا هذا الاسم لصاحب كتاب تاريخ قضاة الأندلس بعد أن وقفنا على العديد من الحجج والبراهين الجديدة التى أكدت خطأ ما ذهب إليه المستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال، الذى نشر كتاب المرقبة العليا (تاريخ قضاة الأندلس)، وأثبت اسم مؤلفه عليه بالنُباهى مقدماً النون على الباء، وهو ما عول عليه كثرة كاثرة من الباحثين المحدثين بمصر والعالم العربى. لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع. أنظر: الفصل السابع من هذه الدراسة، والخاص بأجناس الكتابة التاريخية عند أبى الحسن البناهى، وأصله كان بحثاً شاركنا به فى مؤتمر الأندلس الدولى بمكتبة الإسكندرية نوفمبر 2016م.

وتبيين ما أوفده عليه فاعتقد ما قدره لديه وانفصل عنه وعاد إلى قرطبة فوصلها آخر جمادى الأولى من السنة المذكورة وعلى إثر ذلك أصابته العلة التي أضجعته إلى أن أفضت به إلى قضاء نحبه، ولقاء المرتقب من محتوم لقاء ربه، وتبارى الأدباء والشعراء في تأبينه وحق لهم ذلك رضي الله عنه وأرضاه"[1].

ثالثا: ابن رشد الأكبر الأب: ولَد ابن رشد الجد، وأبو ابن رشد الحفيد: أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن رشد أبو القاسم القرطبي (ت563هـ) قاضى قرطبة[2]، وكناه ابن سعيد بأبى الوليد أحمد بن رشد الأكبر[3].

ولد سنة 487هـ، حصل العلم عن والده ابن رشد الجد ولازمه طويلا، وبه تفقه، ولازم أبا بكر البطليوسي، وسمع أبا محمد ابن عتاب، وابن مغيث، وابني بقي أبا القاسم وأبا الحسن، وابن العربي، والصدفي، وابن تليد، وجماعة، وأجازه أبو عبد الله ابن الفرج، وأبو علي الغساني، وغيرهم[4].

ومن تلاميذه الذين أخذوا عنه ابنه أبو الوليد ابن رشد، المشهور بالحفيد، وأبو القاسم ابن مضاء النحوى قاضى قضاة الموحدين الظاهرى، وغيرهما.

ويتضح أثره العلمى من خلال بضعة كتب فى علوم الشريعة أحدهم فى الحديث وعلومه جعل عنوانه شرح على سنن النسائي، والثانى فى تفسير القرآن والذى وصفته المصادر بأنه يقع في أسفار، والثالث وسمه بالمتحصل جمع فيه اختلاف أهل العلم من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين وتسمية مذاهبهم، والرابع كتاب المقدمات فى الفقه[5].

توفي في رمضان سنة (563هـ)، ودفن مع سلفه في مقبرة ابن عباس بقرطبة[6].

---

[1] أنظر: تاريخ قضاة الأندلس، ص99.

[2] ابن بشكوال: الصلة، 1/83.

[3] أنظر: المغرب في حلى المغرب، 1/162.

[4] ابن بشكوال: الصلة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008م، 1/83.

[5] ابن سعيد: المغرب، 1/162.

[6] الضبى: بغية الملتمس، ص168 ؛ وانظر: ابن بشكوال: الصلة، 1/ 83 ؛ محمد محمد مخلوف: شجرة النور، ص 146.

المبحث الثانى: حياة ابن رشد ومصادر فكره

ولد في قرطبة سنة 520هـ قبل وفاة جده بشهر[1]، ويكنى بأبي الوليد ويلقب بالحفيد تمييزاً له عن جده الذي يكنى باللقب نفسه، ومن ألقابه الأخرى القرطبي نسبة الى المدينة التي ولد فيها ونشأ وتعلم. ويطلق عليه المؤرخ صلاح الدين الصفدي لقب"صاحب المعقول"[2] وهو اللقب الذي يدل على اهتمامه واشتغاله بالعلوم الفلسفية العقلية وما يتصل بها. بمعنى أن الدراية أغلب عليه من الرواية على حد قول ابن الأبار[3].

ونعرف من مؤرخى سيرته أنه تلقي العلوم المختلفة منذ صغره، كالفقه والأصول والحديث والعقائد وعلم الكلام والطب والعربية وآدابها وغير ذلك [4]، فقد درس ابن رشد الفقه على يد الفقيه الحافظ أبي محمد بن رزق، واستظهر حفظاً كتاب الموطأ للإمام مالك (ت 179هـ)، على أبيه الفقيه أبي القاسم أحمد بن رشد (ت 563 هـ)، وكذلك سمع من الفقيه أبي مروان عبد الملك بن مسرة، وحدث [أي ابن رشد] عنه بإشبيلية وغيرها [5]. كما درس أيضاً الفقه على يد الفقيه الشيخ أبي القاسم بن بشكوال (ت 570هـ) وأبي بكر بن سمحون (ت 536هـ) وأبي جعفر بن عبد العزيز الذى أجاز له الفتيا في الفقه مع الفقيه أبي عبد الله المازري (ت 635 هـ)، ومما سبق يتضح تمرس ابن رشد الحفيد فى علوم الأوائل وعلوم الشريعة حتى وصفه ابن الأبار بقوله:"ومال إلى علوم الأوائل فكانت له فيها الإمامة دون أهل عصره، وكان يفزع إلى فتواه فى الطب كما يفزع إلى فتواه في الفقه مع الحظ الوافر من الإعراب والآداب"[6].

وقد قرظ ابن الأبار مشروع ابن رشد الفقهى الذى ضمنه كتابه الماتع بداية المجتهد ونهاية المقتصد بقوله:"وله تصانيف جليلة الفائدة منها كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد فى

---

[1] ابن الأبار:التكملة لكتاب الصلة، 2/ 355 ؛ وانظر: المنذري: التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1981م، 1/ 123 ؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، 1/ 482.

[2] أنظر: الوافي بالوفيات، نشر باعتناء ديدرينغ، دار فرانز شتاينر بقيسبادن، اسطنبول، 1981م، 2/ 411

[3] أنظر: التكملة لكتاب الصلة، 2/553.

[4] نفس المصدر والمكان والصفحة.

[5] ابن الآبار: التكملة الكتاب لصلة، 2/ 355.

[6] قارن: ابن الأبار، التكملة، 2/ 554، الصفدي، الوافي بالوفيات، 2/511.

الفقه أعطى فيها أسباب الخلاف وعلل ووجه فأفاد وأمتع به، ولا يعلم فى فنه أنفع منه ولا أحسن مساقاً"[1]؛ وكذا ذكى ابن أبى أصيبعة مشروع ابن رشد الحفيد الفقهى بقوله:"أوحد فى علم الفقه والخلاف"[2].

أما في علوم الحديث، وما يتصل به من رواية، فقد استظهر موطأ مالك حفظاً على يد والده، وتلقى طرفا من علوم الحديث على يد الحافظ ابن بشكوال، وكان واسع الدراية فيه[3]، ورغم غلبة الدراية على الرواية عند ابن رشد الحفيد فقد كان حريصاً على تأصيل خطبه وفتاواه وأعماله التعبدية بذكر ما يؤيدها من الكتاب والسنة معاً[4].

وتجدر الإشارة إلى أن اهتمام ابن رشد الأكبر كان بالعلوم العقلية. التى أصبح إماماً فيها، ويفزع الناس إليه للسؤال والاستفسار، فقد أخذ الطب عن الطبيب علي بن مروان بن جريول البلنسي، وأبي جعفر الترجالي[5].

وفضلاً عن هذه العلوم، فقد حصل الشعر وعلوم العربية، حيث حكى عنه أبو القاسم بن الطيلسان أنه كان يحفظ شعري أبي تمام (حبيب بن آوس)، وأبي الطيب المتنبي، ويكثر من التمثل بهما في مواضعه ويورد ذلك أحسن إيراد [6].

توجه ابن رشد بعد أن أتقن العلوم السابقة إلى دراسة علم الكلام والعقائد والفلسفة (العلوم العقلية) وهما الموضوعان الرئيسان اللذان اشتهر بهما ابن رشد على غيرها من العلوم الأخرى، وكان يضرب به المثل في هذا العلوم[7].

وقد سمع منه ابنه القاضي أحمد، وأبو محمد ابن حوط الله الظاهرى، وسهل بن مالك، وأبو الربيع ابن سالم، وأبو بكر ابن جهور، وأبو القاسم ابن الطيلسان، وغيرهم [8].

---

[1] ابن الأبار، التكملة، 2/ 554.

[2] أنظر: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، تحقيق نزار رطا، دار الثقافة، بيروت، 1979م، 122/3.

[3] ابن الآبار: التكملة، 554،553/2.

[4] ابن عبدالملك المراكشى: الذيل والتكملة، 22/6.

[5] ابن الأبار، التكملة، 2/ 455 ؛ وانظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، بيروت 1984م، 20/1 ؛ والترجالي من أعيان اشبيلية تميز في العلوم الفلسفية فلازمه ابن رشد واخذ عنه الكثير من العلوم الحكمية.

[6] ابن الأبار، التكملة، 455/2.

[7] الصفدي، الوافي، 2/ 411.

[8] الذهبى: سير أعلام النبلاء،307/21 ؛ وانظر: البناهى: تاريخ قضاة الأندلس، ص 111 ؛ الصفدى: الوافي بالوفيات، 81/2 ؛ ابن نقطة: تكملة الإكمال، تحقيق عبد القيوم بن عبد رب النبي، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط1، 1408هـ، 708/2 ؛ محمد مخلوف: شجرة النور، ص 146 ؛ عبدالرحمن التليلى: ابن رشد فى المصادر العربية، ص19.

وكان قد تولى قضاء قرطبة، ثم امتحن بالنفي إلى مراكش، بعدما اتهمه خصومه بالزندقة والإلحاد، وأحرقت كتبه آخر أيام يعقوب المنصور الموحدي(1)، وهو ما سنفصله لاحقا بهذه الدراسة فى مبحث منفصل يختص بنكبته.

وبخصوص أخلاق ابن رشد الحفيد وخصاله الحميدة، فقد قال عنه مترجموه أنه لم ينشأ بالأندلس مثله كمالاً وعلماً وفضلاً، وحمدت سيرته وعظُم قدره عند الخلفاء والأمراء(2)، وكان على شرفه أشد الناس تواضعاً وأخفضهم جناحاً، وعني بالعلم من صغره إلى كبره، حتى حكي عنه أنه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على زوجه، وكان يوصف بيته بأنه بيت العلم والرياسة(3). وكان له عند الملوك وجاهة عظيمة لم يعرفها في ترفيع حال ولا جمع مال وإنما قصرها على أهل بلده خاصة(4)، والأندلس عامة.

ويزودنا المؤرخ عبد الواحد المراكشي (ت 622 هـ)، بصفات خلقية حميدة لابن رشد، تدلل على علو مكانته وسمو أخلاقه، فيقول:"كان ابن رشد واسع العفو متلافاً للمال يتدفق كرما كثيراً على من لجأ إليه من الأصدقاء والأعداء"، وكان يقول: إذا أعطيت الصديق فقد فعلت ما أحب ولا فضل لي في ذلك، ولكن إذا أعطيت العدو فقد تبعت أحكام الفضيلة، وكان واسع الرحمة كثير الرفق بالناس، لم يتعمد مدة قضائه الحكم بالموت على أحد..."(5).

ولم يكن ابن رشد الحفيد يحسن المنادمة ومجالسة الأمراء مما استباحه جملة أبناء عصره ومنهم علماء وحكماء(6)، وكان حسن الرأي، ذكيا، رث البزة، قوي النفس..(7)، ولهذا قيل عنه:"كان يحسن المساجلة ولا يحسن المنادمة التي تذهب الهيبة والوقار عن الانسان"(8).

---

1 عن ذلك بالتفصيل أنظر: عبدالباقى السيد: الظاهرية والمالكية، ص400 وما بعدها.

2 الصفدي، الوافي بالوفيات، 2/ 411 ؛ وانظر: ابن فرحون، الديباج، 1/ 481.

3 ابن الأبار، التكملة، 2/ 554، 553 ؛ وانظر: الصفدي، مصدر سابق، 2 / 411 ؛ المنذري، التكملة لوفيات، 1/ 223.

4 ابن فرحون، الديباج، 1/ 482.

5 أنظر: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، ومحمد العربى، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط1368،1هـ/1949م، ص522.

6 عباس محمود العقاد، ابن رشد، دار المعارف، القاهرة، ط1982،6م، ص 17.

7 ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء، 124/3.

8 العقاد: ابن رشد، ص17.

وقد كان لصلة ابن رشد بابن طفيل أثر كبير على الأول فى إقدامه على طلب الفلسفة، والاشتغال بها وشرح مغاليقها. فضلا عن تقربه من السلطة التى فتحت له الأبواب كى يكون طبيبا وقاضيا ووزيرا[1] على ما سيتضح بعد قليل.

أبناء ابن رشد الحفيد

ذكر ابن أبي أصيبعة أن ابن رشد الحفيد خلف أولادا قد اشتغلوا بالفقه، واستخدموا في قضاء الكور"[2]، نذكر منهم:

1- القاضى أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد أبو القاسم القرطبي (ت622هـ) أخذ عن أبيه أبي الوليد، وجده أبي القاسم، وابن بشكوال، وغيرهم. كان من بيت علم وجلالة ونباهة وحسب في بلده، فقيها، بصيرا بالأحكام، يقظا، ذكي الذهن، سري الهمة، كريم الطبع، حسن الخلق. ولي القضاء ببعض بلاد الأندلس، فحمدت سيرته، وتوفي في رمضان سنة (622هـ)، ودفن بروضة سلفه بمقبرة ابن عباس بقرطبة [3].

2- الطبيب عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن رشد أبو محمد. لم يُعْرف كأسلافه بالفقه، وإنما اشتغل بالطب، واعتنى به، وصفه ابن أبي أصيبعة بقوله:"فاضل في صناعة الطب، عالم بها، مشكور في أفعالها، وكان يفد إلى الناصر ويطببه"، وقال عنه أيضا فى ترجمة أبيه:"وخلف ولدا طبيبا عالما بالصناعة، يقال له: أبو محمد عبد الله"[4]، وكان بقرطبة حين امتحت والده ونكب، وعايش معه المحنة، وكان يصحب أباه إلى الصلاة بمسجد قرطبة، وثار عليهما بعض السفلة وطردوهما من المسجد حال إقبالهما لصلاة العصر[5]، ومن مصنفاته: مقالة في حيلة البرء.

3- أبو الحسن أو أبو الحسين ذكره تلميذ ابن رشد الحفيد أبو بحر صفوان التجيبى ووصفه بالذكاء والفهم والسماح والصلاح [6].

---

[1] التليلى: ابن رشد، ص19.

[2] أنظر: عيون الأنباء، 127/3.

[3] الذهبى: تاريخ الإسلام،94/45.

[4] أنظر: عيون الأنباء، 127/3.

[5] ابن عبدالملك المراكشى: الذيل والتكملة، 25/6.

[6] التليلى: ابن رشد، ص22.

المبحث الثالث: الدور السياسى لابن رشد الحفيد:

اشتهرت أسرة ابن رشد بأنها من أبرز الأسر الأندلسية التى بزت فى العلم والقضاء، ومن ثم كان لتاريخ هذه الأسرة العلمى والسياسى أثره الكبير فى إقبال الدولة الموحدية على ابن رشد الحفيد والاستفادة منه ومن فكره باختياره ضمن لجنة التخطيط لنظام التعليم بمراكش سنة 548هـ/1153م ثم قاضيا بقرطبة[1]، وكان لا يزال فى السابعة والعشرين من عمره، وذلك فى عهد عبدالمؤمن بن على.

أما عن صلة ابن رشد بأبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدي (ت 085 هـ / 4811م) الخليفة الثالث من خلفاء الموحدين فيعود الفضل فيها إلى الفيلسوف أبي بكر بن طفيل، ويوضح ابن رشد ذلك بقوله:"استدعاني أبو بكر بن طفيل يوما فقال لي: سمعت أمير المؤمنين يتشكى من غلق عبارة أرسطو وعبارة المترجمين عنه، ويذكر غموض أغراضه ويقول: لو وقع لهذه الكتب من يلخصها ويقرب أغراضها بعد ان يفهمها فهماً جيداً لقرب مآخذها على الناس". ثم بعد ذلك يلتمس ابن طفيل وهو الشيخ في الفلسفة من الشاب فيها ابن رشد أن يقوم بهذه المهمة الجليلة لما يعرفه عنه من كفاءة وقدرة على الاضطلاع بها، ويعبر ابن رشد عن ذلك بقوله على لسان ابن طفيل:"فان كان فيك فضل قوة لذلك فافعل، وإني لأرجو لما أعلمه من جودة ذهنك وصفاء قريحتك وقوة نزوعك الى الصناعة (الفلسفة)، وما يمنعني من ذلك إلا ما تعلمه من كبر سني واشتغالي بالخدمة وصرف عنايتي الى ماهو اهم عندي منه..."، وكان لقول ابن طفيل هذا اثر كبير على اشتغال ابن رشد بشروح وتلخيص فلسفة أرسطو ومن ثم فقد قال:"فكان الذي حملني على تلخيص ما لخصته من كتب الحكيم ارسطو طاليس.."[2].

وفيما يخص اللقاء بين ابن رشد وأبى يعقوب يوسف فقد صوره ابن رشد بقوله: لما دخلت على أمير المؤمنين أبي يعقوب وجدته هو وأبو بكر بن طفيل ليس معهما غيرهما...

---

[1] ابن سعيد، المغرب، 1/104-107 ؛ وانظر: محمدعابد الجابرى، ابن رشد سيرة وفكر، ص41-43 ؛ أحمد شحلان، ابن رشد والفكر العبرى، 1/168.

[2] المراكشي: المعجب في أخبار المغرب، ص342.

فأخذ أبو بكر يثني علي، ويذكر بيتي وسلفي ويضم بفضله إلى ذلك أشياء لا يبلغها قدري، فكان أول ما فاتحني به أمير المؤمنين أن قال لي: ما رأيهم في السماء (يعني الفلاسفة) أقديمة هي أم حادثة ؟. قال ابن رشد فأدركني الحياء والخوف، وأخذت أتعلل وأنكر اشتغالي بعلم الفلسفة، ولم أكن أدري ما قرره معه ابن طفيل، ففهم أمير المؤمنين مني الورع والحياء، والتفت إلى ابن طفيل وجعل يتكلم على المسألة التي سألني عنها، ويذكر ما قاله أرسطو طاليس وأفلاطون وجميع الفلاسفة، واحتجاج أهل الإسلام عليهم، فرأيت منه غزارة حفظ لم أظنها في أحد من المشتغلين بهذا الشأن، المتفرغين له ولم يزل يبسطني حتى تكلمت، فعرف ما عندي من ذلك، فلما انصرفت أمر لي بمال وخلعة سنية ومركب.."[1].

وبعد هذا اللقاء يتم تولية ابن رشد منصب قاضي إشبيلية، ونسمع عن إقباله على تفسير وتلخيص كتب أرسطو نزولاً على رغبة الخليفة، ومن ثم قام ابن رشد بما طلب منه أفضل قيام في سنتين.

على أية حال لم تطل مدة إقامة ابن رشد في إشبيلية فغادرها عائداً إلى قرطبة حيث تولى فيها منصب القاضي[2]، ثم ما لبث أن دعاه الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن سنة 578 هـ / 1182 م، ليكون طبيبه الخاص عوضاً عن ابن طفيل، ثم أعاده الخليفة مرة آخرى إلى قضاء قرطبة ولكن بوصفه قاضي القضاة.

توفى أبو يعقوب يوسف الموحدي سنة 580 هـ / 1184م وخلفه ابنه يعقوب بن يوسف الملقب بالمنصور، وفى عهده تزداد مكانة ابن رشد الحفيدوقربه من الحضرة، فقد كان يعقوب المنصور يحب مجالسة ابن رشد والحوار معه في القضايا الفلسفية[3]، وكان يقربه ويجلسه الى جانبه على نفس الوسادة التي يجلس عليها الأمير، حتى ليروى أن المنصور الموحدي لما تأهب لقتال الفونسو الثامن ملك قشتالة سنة 591 هـ /1190 م، دعا ابن رشد وأجلسه بجانبه وكان ذلك بقرطبة [4].

---

[1] نفس المصد والمكان والصفحة.

[2] ابن عذارى، البيان المغرب، ص158.

[3] أرنست رينان، ابن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة 1975م، ص 83.

[4] نفس المرجع والمكان والصفحة.

ومن أبرز القضايا التى حكم فيها ابن رشد أيام ولايته القضاء حكمه على ابن خروف والذى كان شديد اللهجة فى ردوده، وأحيانا ما كان يعرض بمن يرد عليه ويلصق به الشائعات كما فعل مع المؤدب أحمد بن محمد بن يحيى الحميرى حيث اتهمه بعشق فتى من طلبته، وهنا رفع الأمر إلى القاضى ابن رشد الحفيد فعزر ابن خروف وأوجعه ضربا(1).

ومن القضايا السياسية التى تناولها ابن رشد قضية العبودية، وما يتصل بها من منع العبيد من بعض الحقوق ومنها حق الشهادة وتولى القضاء. فقد عارض المالكية الظاهرية فيما ذهبوا إليه من إجازتهم شهادة العبد، وتوليته القضاء، ونهوا العامة عن الامتثال لأقوالهم أو الاستماع إليها(2)، ورغم ذلك فإن رأى الظاهرية بخصوص شهادة العبد لقى تأييدا من أكابر قضاة المالكية وهو ابن رشد الحفيد الذى عقب على رأى الظاهرية بقوله:"الأصل إنما هو اشتراط العدالة، والعبودية ليس لها تأثير في الرد إلا أن يثبت ذلك من كتاب الله أو سنة أو إجماع"(3)، ويرجع ذلك إلى انتشار أقوال ابن حزم والظاهرية وقتها على ألسنة العلماء والقضاة والحكام(4).

لم يقتصر دور ابن رشد السياسى على تولى المناصب، والحكم بين الناس. بل لعب دورا مهما فى تحريض المجاهدين لمواجهة حركة الاسترداد المسيحى، ومن ذلك دوره تحريضه المسلمين للانخراط فى الحملة الخاصة بمعركة الأرك، لنصرة الإسلام، ولمواجهة حركة الاسترداد المسيحى التى أشعلها الفونسو الثامن ملك قشتالة(5)، وهو ما عبر عنه ابن الطيلسان بقوله:"سمعت كلامه بالمسجد الجامع من قرطبة وهو يحفز الناس على الجهاد والغزو فى سبيل الله ويورد ما جاء فى فضله من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ بلسان طلق وإيراد مستحسن،.. وخرجنا معه يوم ورود الخبر بهزيمة الروم على عصف الأركة

---

1 المراكشى، المعجب، ص251.

2 ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الفكر، القاهرة، (د.ت)، 347/2 ؛ وانظر: ابن فرحون، تبصرة الحكام، 26/1 ؛ عبدالباقى السيد، ابن حزم الظاهرى وأثره فى المجتمع الأندلسى، ص160.

3 ابن رشد، مصدر سابق، 347/2.

4 المراكشى، المعجب، ص53،54.

5 محمود على مكى، التراث السياسى فى المغرب والأندلس، ضمن ندوة قضايا المخطوطات ديسمبر 2001م، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 2002م، ص135.

صحبة علامات الطاغية أذفونش. فلما اجتمعنا مع الواصلين به، وشاهدنا عندهم علامات العداوة منكوسة. سجد القاضى شكرا وسجدنا جميعا عند سجوده شكرا لله تعالى..''(1).

ورغم أن ابن رشد سليل أسرة حافظت على علاقتها مع حكام المرابطين والموحدين، وكان ابن رشد نفسه ممن حافظ فترة طويلة على علاقته بالسلطة إلا أنه فاجأنا بمعارضته لنظام الحكم الموحدى، حيث رفض فكر الموحدين السياسى السلطوى، وهاجم فقهاء السلطة لالتزامهم الصمت والخنوع وتبرير مايقوم به الحكام من أفعال(2)، وانتقد ابن رشد الحفيد فى كتابه (الضرورى فى السياسة الذى اختصر فيه جمهورية أفلاطون) نظام الحكم الموحدى وما آل إليه من فساد واستبداد حسب ظنه(3) ووصف تصرفات حكام عصره بالطغيان(4) الأمر الذى أدى به إلى تنكيبه وإحراق كتبه على ما سيتضح بعد ذلك. بل إنه سعى إلى أبعد من ذلك عندما حرض على الثورة ضد المنصور الموحدى بمباركته جهود أبى يحيي أخى المنصور ووالى قرطبة فى خاتمة كتابه الضرورى فى السياسة بقوله''أعانكم الله على ما أنتم بصدده وأبعد عنكم كل مثبط بمشيئته وفضله''(5). رغم الجفاء الذى كان بين الأخوين بسبب دعوة أبى يحيى الناس لبيعته أثناء مرض المنصور سنة 588هـ/ 1192م، فكأن ابن رشد قصد من هذه الصلة ومن هذا الكلام أن يقر والى قرطبة على محاولته بالخروج على المنصور، ويعلن أن المنصور حاكم مستبد لا يصلح للحكم.

---

1 ابن عبدالملك المراكشى: الذيل والتكملة، 22/6.

2 محمود اسماعيل، الخلافة والإمامة فى الفكر والتاريخ، ص70،69،71.

3 محمد عابد الجابرى، ابن رشد سيرة وفكر، ص73.

4 ابن رشد فيلسوف الشرق والغرب فى الذكرى المئوية الثامنة لوفاته، ص311.

5 أنظر: الضرورى فى السياسة، ترجمة أحمد شحلان، تقديم محمدعابد الجابرى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998، ص208.

المبحث الرابع: أثر ابن رشد فى الحياة الاجتماعية

لعب ابن رشد دورا مهما فى تبنيه موقفاً واضحاً من بعض المظاهر الاجتماعية، ومن ذلك ظاهرة الغناء والموسيقى، والتى عمد إلى تأصيلها من خلال مناظرة تعرضت لذلك وقعت بينه وبين ابن زهر فى حضرة الخليفة ذكر فيها ابن رشد: أن المطرب إذا مات بقرطبة حملت آلاته لتباع فى إشبيلية، أما العالم إذا مات بإشبيلية حملت كتبه لتباع فى قرطبة[1]. ومن نص المناظرة يتضح أن الخليفة لم يعترض على وجود علماء للموسيقى فى قرطبة وإشبيلية، ومن ثم فقد لقى أصحاب فن الموسيقى تشجيعا من الحكام فيما هو دون الفجور والغواية فهذا المنصور يقرب أبا بكر بن زهر الموسيقى ويجعله وزيرا، وفى عهده برع أناس فى الموسيقى منهم أحمد بن الحسن بن أحمد بن حسان القضاعى (ت 595هـ/1198م) الذى اختصر كتاب الفارابى فى الموسيقى ونشره بين الناس[2]، وكان أبوعلى بن يبقى المشرف على أعمال مالقة له جارية أدبها وعلمها الغناء، حتى نالت بغنائها إعجاب المأمون بن المنصور والى مالقة آنذاك، وسعى فى شرائها، لكن صاحبها لم يسعفه بها[3]، وكان ابن رشد الحفيد يرى أن الموسيقى من وسائل غرس الفضائل فى النفوس[4].

وقد شكلت وسائل التسلية والترفيه مظهرا من المظاهر الاجتماعية ومنها لعبة الشطرنج والتى كانت منتشرة فى الأندلس ولعبها ابن رشد الحفيد (ت595هـ/1199م)، وأبوبكر محمد بن زهر (ت595هـ /1199م) والذى كان بارعا فيها حتى لقب بالشطرنجى، والكاتب أبوالحسن بن عياش الذى كان يلعب الشطرنج مع الواردين عليه[5].

---

[1] المقرى، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، 155/1 ؛ وانظر: محمد موسى خشبة، الموشحات الأندلسية فى عهد الموحدين،، ص15.

[2] المراكشى، الذيل والتكملة، السفر الأول، القسم الأول، ص90،91 ؛ وانظر: محمد عادل، التربية الإسلامية فى المغرب، ص150.

[3] ابن سعيد، المغرب، 429/1.

[4] عبدالعزيز عبدالجليل، مدخل لتاريخ الموسيقى المغربية، ص39.

[5] ابن سعيد، الغصون اليانعة فى محاسن شعراء المائة السابعة، ص44 ؛ وانظر: سعيد أبوزيد، الحياة الاجتماعية فى الأندلس، ص195.

ولا شك أن لعب ابن رشد للشطرنج كان له تأثير كبير على الأندلسيين، لا سيما أنه كان ممن يفزع غليه فى الفتيا، فضلا عن كونه كان قاضيا، بل كان قاضى القضاة.

وقد وصل دور المرأة السياسى فى عهد الموحدين إلى حد مناقشة موضوع ولاية المرأة القضاء فأجازها الظاهرية ورفضها المالكية، ووقع خلاف بين المالكية والظاهرية وتزعم المالكية وقتها القاضى عياض، والقاضى أبوبكر بن العربى فى عهد عبدالمؤمن بن على[1]، لكن فى عهد المنصور الذى مكن للمذهب الظاهرى تغير الوضع حتى أن أحد قضاة المالكية وهو ابن رشد الحفيد دعا النساء إلى ممارسة حقهن السياسى، بل والتطلع إلى الرياسة والمناصب السياسية فى الدولة[2].

وقد آتت دعوة ابن رشد ثمارها حيث وجدنا للمرأة دوراً فى الأعمال الخيرية والتطوعية فلما بنى المنصور الموحدى جامعه بمراكش عام 594هـ/1196م قامت زوجته ببيع حليها الذهبية الخاصة، والفضية والأحجار الكريمة وجميع ما قدمه المنصور لها عند زواجها، وأمرت بصنع التفاحات الذهبية الثلاث التى تعطى مظهرا جميلا للجامع[3]، وصار للمرأة دور فى التصوف فهذه فاطمة بنت ابن المتنبى القرطبى، وياسمين الأندلسية درستا التصوف ومذاهبه، وكانتا من الأولياء، وتعلم ابن عربى الصوفى على يديها[4]، وكانت منية بنت ميمون الدكالى (ت595هـ/1198م) من الصوفيات النشطات، حتى إنها أخبرت أنه فى إحدى الاجتماعات الصوفية حضر ألف امرأة من الأولياء بأحد الأربطة[5].

ورغم هذه الفاعلية الواضحة للمرأة فى عهد الموحدين فإن ابن رشد الحفيد لم يرض بها، واعتبر أن نسبة كبيرة من نساء الأندلس اتخذن للنسل دون غيره وللقيام بأزواجهن وكذا للإنجاب والرضاعة والتربية فكان ذلك مبطلا لأفعالهن وصرن سببا من أسباب فقر

---

[1] ابن فرحون، تبصرة الحكام، 26/1.

[2] محمد عابد الجابرى، ابن رشد سيرة وفكر، ص251.

[3] ابن الوزان، وصف أفريقيا، ص143 ؛ أقيمت التفاحات الثلاث على ساق من حديد يعلو منارة الجامع، وتزن التفاحات مائة وثلاثين ألف دينار على حد قول ابن الوزان، والسفلى هى أكبر التفاحات، والعليا هى أصغرها. أنظر: نفس المصدر والصفحة.

[4] أسين بلاسيوس، ابن عربى حياته ومذهبه، ص28،27.

[5] حسين سيد، المتصوفة فى المغرب الأقصى فى عهد المرابطين والموحدين، ص82.

الأندلس، وقد استنفر ابن رشد همم النساء للعمل واصفا إياهن بأنهن لا يقمن بجلائل الأعمال الضرورية وإنما ينتدبن فى الغالب لأقل الأعمال كما فى صناعة الغزل والنسيج عندما تدعو الحاجة إلى الأموال بسبب الإنفاق[1]، ومن ثم فقد دعا النساء إلى مشاركة الرجال فى بعض الأعمال ومنها صناعة الألحان التى اعتبر أنها لا تبلغ كمالها إلا إذا أنشأها الرجال وعملتها النساء ؛ بل دعا النساء إلى المشاركة فى صناعة الحرب خاصة بعض النساء ممن جبلن على حسن الاستعداد والذكاء، وانتهى به الأمر إلى دعوته لهن بأن يكن صاحبات رياسة، وأفتى بأنه لا مانع يمنعهن من ذلك[2].

الجدير بالذكر أن ابن رشد فى رأيه السابق – رغم مخالفته لمالكية عصره ومن قبلهم- كان واقعا تحت تأثير ابن حزم الظاهرى الذى أفتى بجواز تولى المرأة الحكم فى بعض الأمور من قضاء وإمارة ووزارة وكل ما هو دون الخلافة[3]، وهكذا فقد كان للمرأة دورها فى عهد الموحدين، ولقيت من الحكام الاحترام والتقدير فهذا المنصور كان يقف للمرأة والضعيف، ويأخذ لهما الحق من كل ظالم، وكانت المرأة فى عهده تخرج من برقة إلى المغرب الأقصى دون أن يتعرض لها أحد بسوء، ولما رفعت امرأة رقعة إلى المأمون بن المنصور ضد جندى نزل بدارها وتضررت من فعل له وقع المأمون على الرقعة بقوله:"يخرج هذا النازل ولا يعوض بشيء من المنازل"[4].

---

[1] محمد عابد الجابرى، ابن رشد سيرة وفكر، ص251،252 ؛ وانظر: راوية عبدالحميد، المرأة فى الغرب الإسلامى، ص279،280.

[2] محمد عابد الجابرى، ابن رشد سيرة وفكر، ص251.

[3] أنظر: المحلى، 8/527، 528.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، 12/914 ؛ وانظر: ابن الخطيب، الإحاطة فى أخبار غرناطة، 1/420،421 ؛ السراج، الحلل السندسية فى الأخبار التونسية، ج1 قسم 4 ص 1005 ؛ سعيد أبوزيد، الحياة الاجتماعية، ص257.

المبحث الخامس: أثر ابن رشد فى الحياة العلمية

ترك ابن رشد أثرا واضحا فى الحياة العلمية من خلال اختيار عبدالمؤمن بن على له ضمن لجنة التخطيط لنظام التعليم بمراكش سنة 548هـ/1153م[1]. كما وجه المناظرات التى كانت تقع بينه وبين غيره من الأطباء والمفكرين ومنهم ابن زهر فى حضرة المنصور إلى ما فيه خدمة بعض الدراسات التى كان ينظر إليها نظرة مستقبحة كدراسة الموسيقى[2].

وفى أصول الفقه وجدنا ابن رشد الحفيد لما عرض موضوع القياس فى كتابه بداية المجتهد لم يرجح رأيا معينا بل اكتفى بذكر من أثبت القياس ومن نفاه[3]، وهو ما يوضح خطورة مناقشة هذا الموضوع من قبل رجال الدولة لارتباطه بالنظام القضائى الذى تقوم الدولة عليه فى الحكم. ثم راح ابن رشد بعد ذلك ينتقد القياس فى مجال علم الكلام والفقه فى موضع آخر من كتبه، وهو الأمر الذى دعا إليه الظاهرية مما يوضح أثر الموحدين فى ظهور هذا الاتجاه[4].

وإذا كان ابن رشد الحفيد (ت 595هـ/1198م) قد وقف هذا الموقف السابق من القياس الذى هو أحد أصول المالكية. فإن الأمر فيما يخص الفقه وأصوله لم يقف به عند هذا الحد بل دعا إلى الاهتمام بالأصول فى استنباط الأحكام، وصنف فى ذلك كتابه الضرورى فى أصول الفقه فى عهد عبدالمؤمن بن على سنة 552هـ/1157م تدعيما لمشروع الدولة فى نبذ الفروع والاهتمام بالأصول، وشن فيه حملة على فقهاء عصره واتهم بعضهم بالتقليد[5]، وصنف كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد، وعرض فيه أصول المذاهب الفقهية ورجح فيه كثيرا من أصول الظاهرية، وانتقد العديد من الأقوال للمالكية[6] وذكر فى مقدمته أن غرضه

---

[1] محمدعابد الجابرى، ابن رشد سيرة وفكر، ص41-43.

[2] المقرى، نفح الطيب، 155/1.

[3] أنظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ص2.

[4] الجابرى، ابن رشد، ص77.

[5] الجابرى، ابن رشد، ص48، 85.

[6] ابن رشد، بداية المجتهد، ص1/ 50،60،77،79،328،310،215،339 ؛ وانظر: الجابرى، ابن رشد، ص89،90.

من الكتاب إثبات مسائل الأحكام المتفق عليها والمختلف فيها بأدلتها، والتنبيه على نقاط الخلاف فيها ما يجرى مجرى الأصول والقواعد، وردد عبارة كل مجتهد مصيب ما لا يقل عن ست مرات، وخلص إلى أن جميع المذاهب السابقة أقوالها مجرد آراء لا وزن لها إلا بما يثبت من حجة يدعمها البرهان(1). كما عرض فى كتابه بداية المجتهد ما يقرب من مائة وعشرين قولا للظاهرية انتقد بعضها ووافق على العديد منها، وبين ما هو موافق للمالكية، وعمد إلى تبرير الأقوال المخالفة للمالكية وتأييدها(2)

وفيما يخص العقيدة قام ابن رشد الحفيد بشرح المرشدة التى صنفها ابن تومرت لما وجده من اهتمام الناس بها، بل والحكام أنفسهم(3).

وقد لعب ابن رشد دورا مهما فى دعم اقتصاد الدولة من خلال بعض مصنفاته الفقهية ومن ذلك أنه عندما اعتمد عبدالمؤمن بن على فى تأصيله للخراج على جماعة من الفقهاء المالكية الشباب. كان على رأسهم ابن رشد الحفيد الذى صنف كتابا عن الخراج بين فيه أحكامه وكيفية أدائه(4).

الجدير بالذكر أن جهود ابن رشد العلمية لم تتوقف على العلوم الشرعية بل تعدى ذلك إلى العلوم العقلية وفى مقدمتها الفلسفة، والتى بز فيها للدرجة التى جعلت مفكرا كبيرا من طراز ابن عربى الصوفى يجتمع بابن رشد الحفيد بإشبيلية ويسمع منه فلسفته وأنظاره العقلية التى استهوته(5).

وقد سطر ابن رشد مشروعه الفلسفي والفكري في عدة مصنفات من كتبه منها (منهاج الأدلة، وفصل المقال، وتهافت التهافت)، وامتاز فى مشروعه بصدق الفهم، وجودة الاستيعاب والأمانة في التعلم، والتعليم، فكان شغله الأكبر الشرح والتحصيل، ولم يشغل نفسه بالابتداع والابتكار، وقد غلب عليه المنطق والبحث العلمي.(6)، وقد شغل ابن رشد نفسه من خلال مشروعه الفلسفى بالجواب على ثلاثة أسئلة:

---

[1] أنظر: بداية المجتهد، 2/1 ؛ محمد الصباحى، الأفق الكونى لابن رشد، ص226،233

[2] أنظر: بداية المجتهد، 83/1، 8، 71، 33، 102، 246.

[3] أحمد شحلان، ابن رشد والفكر العبرى الوسيط، ص173.

[4] أرنست رينان، ابن رشد والرشدية، ص88.

[5] على سالم عمار، أبو الحسن الشاذلى، مطبعة دار التأليف، القاهرة، 1951م،73/1.

[6] عباس محمود العقاد، ابن رشد، ص 30،31.

أولا: مسألة شرح فلسفة أرسطو

ثانيا: مسألة فهم القرآن، وتأويله

ثالثا: مسألة العلاقة بين الدين والفلسفة

وقد بلغ ابن رشد هدفه الذى كان يصبو إليه من خلال شروحه وتفسيراته حتى عده الفلاسفة أعظم شراح أرسطو، وحظي باهتمام كبير في العصور الوسطى المسيحية، وكانت شروحه بمثابة عودة الأرسطية الأصلية ورد فعل ضد الأفلاطونية المحدثة(1).

وقد عمد ابن رشد إلى تأصيل علم المنطق متبعا أسلوب ابن حزم فدعا جميع الفئات إلى تعلمه حتى الأطباء وأرجع أخطاءهم فى الطب إلى عدم معرفتهم لشروط علم المنطق، ومن ثم أوجب على الطبيب أن يعرف علم المنطق معرفة تامة حيث إنه آلة الفكر فى الطب والفلسفة، خاصة وأن ابن رشد جعل الطب داخلا فى الفلسفة(2). كما عمد ابن رشد إلى تأصيل دراسة الفلسفة من خلال كتابه الشهير"فصل المقال"الذى دعا فيه إلى وجوب دراسة الفلسفة بحجج وبراهين شرعية وعقلية، وانتقد من رفض النظر فى كتب الفلاسفة القدماء ووصفهم بالجهل، وشبههم فى منعهم هذا بمن يمنع الماء عن العطشان(3).

وتمثلت جهود ابن رشد الفلسفية فى عدة أمور **أولها** تصنيف الكتب فى الفلسفة والمنطق ومنها كتاب الضرورى فى المنطق، وجوامع فلسفة أرسطو سنة 554هـ / 1159م، وشروح ابن رشد على كتب أرسطو ومنها الشرح الوجيز، والشرح الوسيط، والشرح الكبير وفيه كان يشرح ويعلق ويناقش آراء الشراح السابقين، ومن ثم فقد نجح ابن رشد فى تحرير فلسفة أرسطو من العبارات القلقة محققا بذلك المشروع الذى اقترحه عليه يوسف بن عبدالمؤمن الموحدى والذى ابتدأه ابن حزم الظاهرى فى القرن الخامس الهجرى، وكان له أكبر الأثر على يوسف بن عبدالمؤمن وحكام الموحدين بخصوص هذا الشأن(4).

---

1 زينب محمود الخضيري: أثر بن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار التنوير، ط1، 2007م، ص7.

2 منى أحمد أبوزيد، ابن رشد طبيبا ضمن ندوة الفيلسوف ابن رشد مفكراً عربياً ورائداً للاتجاه العقلى، ص384،385 ؛ وانظر: دومينيك إيرفوا، مقال ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، د.ت، ص1205.

3 ابن رشد، فصل المقال، ص22،23،28،29،30.

4 الجابرى، ابن رشد، ص48، 73،74؛ وانظر: حسن الشافعى، التيار المشائى، ص147 ؛ عبدالباقى السيد، ابن حزم، ص183،185.

وثانيها تنزيه ابن رشد الفلسفة من الأقوال التى تدعو إلى فساد تعلمها ومن ثم رد على الغزالى فى كتابه"تهافت التهافت"الذى فند فيه كتاب"تهافت الفلاسفة"للغزالى الذى كان قد وصف الفلسفة بأنها لا قيمة لها لأنها تؤدى إلى نتائج غير موثوق بها، وقال إن دراسات أرسطو تعارض الإسلام، وكتاب"فصل المقال"والذى نقض فيه فتوى أصدرها الغزالى كفر فيها الفلاسفة كالفارابى وابن سينا، ودعا ابن رشد أئمة المسلمين إلى النهى عن النظر فى كتب الغزالى الخاصة بالفلسفة لمن ليس من أهل العلم(1)، وقد تابع ابن سبعين (ت 668 /1269م) ابن رشد فى نقده للغزالى فقال فيه"الغزالى لسان دون بيان، وصوت دون كلام، يجمع الأضداد... وإدراكه فى العلوم القديمة أضعف من خيط العنكبوت"وهو نفس ما ردده ابن رشد وشيخه ابن طفيل أو قريبا منه(2).

وثالثها التوفيق بين الشريعة والحكمة وقد تأثر ابن رشد فى هذا الموضوع بابن حزم الذى كان قد دعا إلى أهمية الفلسفة فى علوم الشرع، ومن ثم فقد عمد ابن رشد إلى تأصيل دعوة ابن حزم وفكرته وصنف كتابه (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال)، ويتضح أثر ابن حزم على ابن رشد فى هذا الكتاب خاصة فى مبحثى حكم دراسة الفلسفة وعلاقة الحكمة بالشريعة(3)، وإلى جانب الأثر الحزمى على ابن رشد فقد كانت هناك أسبابا أخرى لمحاولة التوفيق منها تحقيق الانسجام بين ما وصل إليه ابن رشد بعقله وبين معتقدات الموروث، وتجنب غضب الفقهاء الذين يرون كل تفكير حر ضربة موجهة للدين، وبعد الشقة بين الدين وفلسفة أرسطو فى كثير من المسائل كمسألة الألوهية، وتحديد صفات الله، وخلق العالم وقدمه وحدوثه، والنفس وخلودها(4).

وقد آتت محاولة ابن رشد لتأصيل الفلسفة ثمارها، إذ نجد أن الموحدين صاروا يختارون شيخ طلبة الحضر ممن لديه معرفة تامة بالفلسفة، بعد أن كان ذلك ممنوعا وذلك مثل أبى

---

1 ابن رشد، فصل المقال، ص 36،37، 38،39، 53؛ وانظر: الجابرى، ابن رشد، ص74،95.

2 قارن ابن طفيل، حى بن يقظان، مكتبة الأسرة، القاهرة، 1999م، ص 23-25؛ ابن رشد: فصل المقال، ص52،53 ؛ رسائل ابن سبعين، تحقيق عبدالرحمن بدوى، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت، ص14.

3 أنظر: ابن رشد، فصل المقال، ص22،23،31،32 ؛ عبدالباقى السيد، ابن حزم، ص185.

4 محمد يوسف موسى، ابن رشد الفيلسوف، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت)، ص32-35.

جعفر أحمد بن عتيق بن حرج الذهبى البلنسى (ت 601هـ/1204م) الذى بلغ الغاية القصوى بالحضرة، وصار من أخص الجلساء وأرفعهم منزلة عند المنصور ثم الناصر[1]، وظهر جماعة من المهتمين بالمنطق والفلسفة من أمثال الطبيب إبراهيم بن الفحار[2]، وابن عياش التجيبى صاحب القلم الأعلى فى عهد المنصور الموحدى وابنه الناصر، حيث صنف فى هذا الشأن مؤلفات حسنة منها كتاب اختصار إصلاح المنطق[3]، وأبوالحسن على بن أحمد التجيبى المعروف بالحرالى المراكشى الذى كان من أعلم الناس بالمغرب فى علم المنطق، وأبوموسى عيسى بن عبدالعزيز الجزولى المراكشى، وأبومحمد عبدالله بن محمد بن يحيى الأغماتى[4]، ويوسف بن طملوس (ت 620هـ/1223م) تلميذ ابن رشد الذى تأثر بشيخه فى مشروعه الفلسفى المنطقى ووصف معارضة المالكية فى عصره لدراسة المنطق بقوله فى مقدمة رسالته فى المنطق:"إن دارسو رسالته فى المنطق فى زمنه يتهمونه بإدخال البدع والزندقة"[5].

وكان أحد مشاهير أسرة بنى زهر المشهورة بالطب يشرح كتب المنطق لطلابه بشرط أن يبلغوا الغاية فى دراسة علوم القرآن والسنة، والاهتمام بشعائر الإسلام[6]، وعبدالرحمن بن إسحاق بن المكولى (ت 625هـ/1227م) الذى أكثر من قراءة الفلسفة، رغم كونه قاضيا للمأمون بن المنصور[7]، وابن سبعين الصوفى المالكى الذى وقعت بينه وبين فقهاء المغرب من أعداء الفلسفة مناظرات عنيفة، وقد دافع أحد تلامذته عنه فى رسالة سماها (الوراثة المحمدية والفضول الذاتية)، وقد بلغت شهرة ابن سبعين فى الفلسفة بالمغرب أن أمره والى

---

[1] ابن سعيد، الغصون اليانعة، ص39،40.

[2] ابن سعيد، المغرب، 2/23.

[3] ابن الخطيب، الإحاطة، 2/482.

[4] المنونى، حضارة الموحدين، ص82.

[5] ماريا اترابيل فيرو، مقال الزندقة والبدع فى الأندلس، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية ف الأندلس، 2/1254؛ وانظر: منى أحمد أبوزيد، ابن رشد طبيبا ضمن مشروع الفيلسوف ابن رشد، ص377.

[6] ريبيرا، التربية الإسلامية فى الأندلس، ص70.

[7] الحميرى، الروض المعطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص544.

سبته بكتابة رسالة يرد فيها على رسالة فردريك الثانى ملك نورمانديا التى أرسلها إلى الرشيد الموحدى وتحتوى على أسئلة لتبكيت المسلمين وهى – هل العالم قديم أم محدث – والثانية عن العلم الإلهى – والثالثة عن النفس وما الدليل على بقائها وطبيعتها – والرابعة أين خالف الإسكندر أرسطوطاليس، وقد أجاب ابن سبعين على هذه الأسئلة إجابة رضى بها فردريك الثانى فى رسالة سماها (أجوبة يمينية عن أسئلة صقلية)[1].

ورغم موافقة ابن سبعين على محاولة ابن رشد لتأصيل الفلسفة ووصفه بأنه إنسان جيد قليل الفضول وعالم منصف فإنه قد وجه النقد له لامتنانه بأرسطو، وتقليده إياه[2].

ومن الفلاسفة موسى بن ميمون اليهودى الذى تأثر بمحاولة ابن رشد بعد أن طالع معظم مؤلفاته، والقارىء لكتاب دلائل الحائرين لابن ميمون يشعر بحضور ابن رشد وكتابه فصل المقال حضورا واضحا[3]، وابن عربى الصوفى الذى اجتمع بابن رشد الحفيد بإشبيلية وسمع منه فلسفته وأنظاره العقلية التى استهوته[4].

الجدير بالذكر أن محاولة ابن رشد هذه رغم نجاحها فإنها قد جوبهت بمعارضة أيضا من قبل فقهاء المالكية ومنهم يوسف المكلاتى (ت 626هـ/1237م) الذى صنف كتابا سماه (لباب العقول فى الرد على الفلاسفة فى علم الأصول) صار فيه على نفس الفكر الذى كان سائدا قبل محاولة ابن رشد، وأوضح فى مقدمة الكتاب أن قصده الرد على أرسطو ومن تبعه من فلاسفة المشائين، ولم يلتفت إلا إلى الرواقيين لبيان فساد مذاهبهم وسقوط أدلتهم على حد قوله[5]، والقاضى أبوعامر يحيى بن أبى الحسن بن ربيع وبنوه الذين جاهدوا ابن رشد بالمنافرة والمجاهرة[6]، والقاضى عبد الله بن يحيى بن عبدالرحمن الأشعرى (ت 666هـ

---

[1] أنظر: رسائل ابن سبعين، ص1–3 ؛ دومينيك إيرفوا، مقال ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس، 1116/2.

[2] أنظر: رسائل ابن سبعين، ص13.

[3] القفطى، أخبار العلماء، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1326هـ، ص210؛ وانظر: أحمد شحلان، ابن رشد، ص201–208.

[4] على سالم عمار، أبوالحسن الشاذلى، 73/1.

[5] نقلا عن محمد زنبير، تأثير الثقافة الأندلسية بالمغرب وأثرها فى التطور العلمى بالبلدين، ضمن بحوث الملتقى الأسبانى المغربى الثانى للعلوم التاريخية، غرناطة، نوفمبر 1989م، ص102.

[6] البناهى، تاريخ قضاة الأندلس، ص111.

/1267م) كان من المنافرين للمذاهب الفلسفية[1]، ومن المالكية من ترك الأخذ عن ابن رشد بسبب ذلك، وتكلموا فى عقيدته وحرضوا عليه المنصور حتى امتحن بسبب ذلك إلى جانب أسباب أخرى سنعرضها عند الحديث عن الاضطهادات الفكرية من هذا الفصل، ومنهم – أى المالكية- من تعامى عن حاله وتأول انتحاله[2].

كذلك برع ابن رشد فى الطب، وكان أحد أبرز أطباء الموحدين الذين اهتموا بالطب والأطباء منذ نشأة الدولة حتى أن ابن أبى أصيبعة أحصى ما يقرب من خمسة وعشرين طبيبا لحكام هذه الدولة[3] فقد اتخذ عبدالمؤمن بن على جماعة من الأطباء جعلهم أطباءه منهم عبدالملك بن زهر (ت 557هـ/1162م)، استخدم الجراحة فى بعض الأحيان ونجح فيها، وفصل الجراحة عن الطب الباطنى وعن الصيدلة، وصرف همه كله إلى الطب الباطنى وألف فيه كتاب الاقتصاد، وألف كتاب التيسير فى الطب العملى وأهداه إلى ابن رشد، وتابع يوسف بن عبدالمؤمن أباه فى ذلك فاتخذ من الأطباء ابن طفيل (ت 581هـ/1185م)، وعبدالله بن قاسم القرطبى (ت 575هـ/1179م)، وابن رشد الحفيد صاحب كتاب الكليات فى الطب تناول فيه التشريح ووظائف الأعضاء والأمراض وأعراضها والأدوية والأغذية وحفظ الصحة والعلاج، وقد بين فيه خطأ جالينوس فى بعض نظرياته فى علم التشريح ووظائف الأعضاء وخالفه فى كثير من آرائه، وله أيضا مقالة فى حيلة البرء، وقد تأثر يوسف بن طملوس بشيخه ابن رشد فى مشروعه الطبى، وأبو بكر بن عبد الملك زهر (ت 595هـ /1199م)، وأصبح أبوبكر طبيبا للمنصور بعد ذلك، ومن كتبه الترياق الخمسينى ألفه للمنصور، والتأثير فى الطب، والإيضاح فى الطب[4].

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، 3/417،418.

[2] البناهى، تاريخ قضاة الأندلس، ص111.

[3] أنظر: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، تحقيق عامر النجار، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2001م، ص519-538، 601،602 ؛ المنونى، حضار الموحدين، ص88-91.

[4] أنظر: ابن أبى زرع، الأنيس المطرب، ص271 ؛ بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسى، ص474،472،471، 479، 480، 469 ؛ محمد فريد وجدى، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، بيروت، 4/230 ؛ محمد العربى الخطابى، الطب والأطباء فى الأندلس، دار الغرب الإسلامى، ط1، 1988م، ص 324 ؛ منى أحمد أبوزيد: ابن رشد طبيبا ضمن مشروع الفيلسوف ابن رشد، ص377 ؛ صلاح السيد، التربية الإسلامية بالمغرب الأقصى فى عهد الموحدين، ص343. وعن جهود عبدالملك بن زهر الطبية أنظر: محمد كامل حسين وآخرون، الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، المطبعة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (د.ت)، ص104،105؛ وكانت الرسائل تتبادل بين ابن طفيل وابن رشد بشأن بعض الإشكاليات الطبية أنظر:عبدالحليم محمود، فلسفة ابن طفيل، دار الكتاب المصرى واللبنانى، القاهرة – بيروت، 1990، ص13.

وفى الجغرافيا كان لابن رشد دور مهم فى توجيه المجتمع إلى أن عمرانا وراء خط الاستواء فى الجنوب وفى الشمال مشيرا إلى الأمريكتين[1]، ولا ندرى هل كان لكلامه هذا أثر فى العهد الموحدى للتوصل لعدة اكتشافات منها: قيام ثمانية شبان من لشبونة برحلة فى المحيط الأطلنطى لمعرفة ما فيه وإلى أين انتهاؤه فوصلوا إلى إحدى الجزر بين أمريكا الشمالية والجنوبية، وبذلك تم الكشف عن الأمريكتين فى عهد الموحدين قبل الكشوف الحديثة التى وقعت فى القرن الخامس عشر الميلادى على يد كريستوفر كولمبس.

وتجدر الإشارة إلى أن ابن رشد لم يوقف أثره فى الحياة العلمية على المناظرات والتخريجات والأفكار الجديدة التى صاغها، بل عمد إلى تأسيس مدرسة تحمل أفكاره، وتكون امتدادا له تمثلت فى تلاميذه من المسلمين واليهود والنصارى الذين نهلوا من علمه وفكره وفلسفته وتابعوه في حله وترحاله بين إشبيلية وقرطبة ومراكش، ورغم تفرقهم عن شيخهم أيادى سبأ على حد تعبير ابن عذارى بسبب نكبته[2]. فيمكننا أن نذكر بعضهم حسب ما بين أيدينا من مصادر، ومنهم:

1- أبو الحجاج يوسف بن طملوس (ت620 هـ) صاحب كتاب المدخل الى صناعة المنطق، وهو ثاني شخصية بعد أمية بن أبي الصلت (ت592هـ) يعرف عنها اقتصارها على الاشتغال بالمنطق الأرسطي دون سائر فلسفته الأخرى[3].

2- أبو عبد الله محمد بن سحنون الندروحي، ولد بقرطبة ونشأ بها، ثم انتقل إلى إشبيلية والتحق بأستاذه وأخذ عنه صناعة الطب.

3- أبو جعفر أحمد بن عتيق بن جرح المعروف بابن الذهبي وعرف بالذهبي لأن جده كان مولعا بالكتابه بالذهب والتصوير به، والغالب عليه علم الفلسفة، وكان أيضاً طبيباً ماهراً ومن أصحاب ابن رشد[4].

---

[1] عبدالباقى السيد: الظاهرية والمالكية، ص 379.

[2] أنظر: البيان المغرب، 3/202.

[3] عبد الرحمن التليلي، إبن رشد الفيلسوف العالم، تونس،1980م، ص 51.

[4] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 2/ 123.

4- القاضي أبو القاسم محمد بن أحمد بن عيسى التجيبي (601 هـ) من أهل مرسية لازمه بقرطبة واستقضاه في ربوعها وفي جهات أخرى من الأندلس، وصرف عن القضاء عند نكبة ابن رشد ثم عفي عنه وأعيد للقضاء من جديد[1].

5- أبو محمد عبد الله بن سليمان بن حوط الله الظاهرى (ت 612) المحدث والفقيه.

6- أبو بكر محمد بن محمد بن بندود الأسدي المرسي[2].

7-القاضي أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي المعروف بابن سالم الأندلسي (ت 634 هـ) تولى القضاء في إشبيلية وله عدة تصانيف في الحديث والسيرة[3].

8- أبو القاسم محمد بن أحمد الأوسي القرطبي المكنى بابن الطيلسان. خرج من قرطبة حين دخلها نصارى الشمال، وتوجه الى مالقه فتولى إمامتها وخطبة قصبتها.

ولابد مما ليس منه بد أن نشير إلى أن مصنفات ابن رشد كانت من أهم وأخطر وسائله فى نشر العلم وتقريبه بالأندلس، وذلك لأنها شملت معظم العلوم المشهورة فى المنقول والمعقول، ومن أغنى الفهارس التى اهتمت بجمع مصنفات ابن رشد برنامج الفقيه الإمام الأوحد أبي الوليد بن رشد، وهو إحصاء يكاد أن يكون شاملاً، يوجد مخطوطاً بمكتبة الاسكوريال، وقد كان أول من أشار اليه ونشره المستشرق الفرنسي رينان في كتابه ابن رشد والرشدية[4]. وكذا القائمة التي ذيل بها ابن عبد الملك المراكشي ترجمته لابن رشد في كتابه الموسوم الذيل والتكملة من أوفى وأهم الإحصاءات[5].

ويمكننا أن نصنف مؤلفات ابن رشد على العلوم على النحو التالى:

أولا: مصنفاته فى علوم الشريعة:

1-بداية المجتهد ونهاية المقتصد.

2- مختصر المستصفى للغزالى.

---

[1] ابن الأبار، التكملة، 570/2.

[2] البناهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص 211.

[3] مخلوف: شجرة النور الزكية، ص 180.

[4] أنظر: ابن رشد والرشدية، ص 654.

[5] أنظر: السفر السادس، نشر احسان عباس، بيروت 1973م، ص 12 وما بعدها.

3- مناهج الأدلة في الكشف عن عقائد الملة.

4- شرح عقيدة الإمام المهدي.

5- كتاب في أصول الفقه. أحال إليه ابن رشد في بداية المجتهد حين قال:"وقد تكلمنا في العمل وقوته في كتابنا في الكلام الفقهي وهو الذي يدعي بأصول الفقه"([1])، ولا نعلم شيئاً عن هذا الكتاب فى أيامنا هذه.

6-كتاب في الفقه على مذهب مالك. أشار إليه ابن رشد في بداية المجتهد.

7-شرح كتاب المقدمات لجده ابن رشد الجد.

8-كيف يدعى الأصم في الدخول إلى الإسلام.

9-مقالة في كيفية دخوله في الأمر العزيز وتعلمه فيه وما فضل من علم الإمام المهدي.

10- كتاب الخراج بين فيه ابن رشد أحكامه وكيفية أدائه([2]).

ثانيا: مصنفاته فى العربية وآدابها:

1- الضروري في النحو

2- مقالة في الكلمة والاسم المشتق.

ثالثا: مصنفاته فى الفلسفة:

1- الضروري في المنطق.

2 -الجوامع في الفلسفة.

3- مختصر المجسطي، وهو نص مفقود في أصله العربي.

4- ما يحتاج إليه من كتاب إقليدس في المجسطي. مفقود أصله العربي.

5 -جوامع سياسة أفلاطون([3]).

6 -تلخيص السماع الطبيعي([4]).

---

[1] أنظر: بداية المجتهد، 88/1.

[2] أرنست رينان، ابن رشد والرشدية، ص88.

[3] ليس لهذا النص نسخة عربية بل هناك ترجمة عبرية قديمة، نقلت عنها الترجمة الانجليزية لروزنتال، لندن 1965م، ثم نقل أخيراً الى العربية بترجمة د. حسن العبيدي وزميلته، بيروت 1998م.

[4] النص العربي مفقود غير أن هنالك مجموعاً مخطوطاً بالمتحف البريطاني يضم من بين محتوياته تسع ورقات تقدم الإخراج النهائي لهذا التلخيص.

7 -تلخيص السماء والعالم. انفرد بذكره البرنامج والذيل.

8 -تلخيص الكون والسماء. انفرد بذكره البرنامج والذيل.

9 -تلخيص الاثار العلوية. انفرد بذكره البرنامج والذيل.

10 -تلخيص كتاب النفس. انفرد بذكره البرنامج والذيل.

11- تلخيص تسع مقالات من كتاب الحيوان وذلك من الحادية عشرة الى آخر الحيوان كذا ورد في البرنامج والذيل.

12 -تلخيص الحس والمحسوس. انفرد بذكره البرنامج والذيل.

13- تلخيص كتاب نيقولاوش. ليس له نسخة عربية.

14- تلخيص ما بعد الطبيعة. مفقود في لغته الأصلية.

15- تلخيص كتاب الأخلاق[1].

16 -شرح السماء والعالم.

17- شرح السماع الطبيعي[2].

18 -شرح كتاب النفس. مفقود أصله العرب. وقد نشر أخيراً عن اللاتينية إلى العربية بتونس.

19 -شرح كتاب البرهان. مفقود أصله العربي اكتشفت قطعة تغطى معظم مباحث المقالة الأولى وبقي جزء يسير منها مع النص الكامل للمقالة الثانية في عدد المفقودات.

20 -تلخيص كتاب أرسطو في المنطق. كذا ورد العنوان في البرنامج والذيل.

21 -شرح ما بعد الطبيعة. انفرد بذكره البرنامج والذيل.

22 -تهافت التهافت. وهو فى الرد على الغزالى صاحب تهافت الفلاسفة.

23- تلخيص شرح أبي نصر للمقالة الأولى من القياس للحكيم.

---

[1] ليس لهذا التلخيص نسخة عربية بل شذرات في هوامش النسخة المخطوطة الفريدة لكتاب أرسطو في الأخلاق الموجودة في خزانة القرويين بفاس. وقد نشرها لأول مرة Berman .V .L في مجلة Oriens عدد (20) 1967 ثم أعاد عبد الرحمن بدوي نشرها عند إخراجه لكتاب الأخلاق لأرسطو.

[2] ذكره رينان والنص العربي لا يزال مفقودا وهناك شذرات قليلة من أصل هذا الشرح توجد في هوامش الورقات الأولى من مخطوط جوامع السماع الطبيعي الموجود بالخزانة الوطنية بمدريد.

obeikandi.com

24- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال.
25- شرح رسالة اتصال العقل بالانسان لابن الصائغ.
26-مقالة في اتصال العقل المقارن بالإنسان.
27- مقالة ثانية في اتصال العقل بالإنسان.
28- شرح مقالة الإسكندر في العقل.
29-المسألة على كتاب النفس.
30- المسائل البرهانية، وورد اسمه بعنوان المسائل المهمة على كتاب البرهان لأرسطو طاليس.
31-شرح كتاب القياس.
32- مقالة على أول كتاب المقولات لأبي نصر.
33-كلام على قول أبي نصر في المدخل: الجنس والفصل يشتركان.
34- تعليق ناقص على أول برهان أبي نصر.
35- تعاليق أخرى على أول برهان أبي نصر.
36-مسألة في علم النفس سئل عنها فأجاب فيها.
37- مقالة في علم النفس.
38- مقالة أخرى في علم النفس.
39-مقالة في المقول على الكل.
40-مقالة في المقدمة المطلقة.
41- مقالة في الجمع بين اعتقاد المشائين والمتكلمين من علماء الاسلام.
42-مقالة فى كيفية وجود العالم في القدم والحدوث.
43- مقالة في بيان وجود المادة الأولى. يقول عنها ابن أبي اصيبعة:"مقالة في فسخ شبهة من اعترض على الحكيم وبرهانه في وجود المادة الأولى وتبين أن مذهب أرسطو طاليس هو الحق المبين". ليس لها نسخة عربية.
44- مقالة في المحرك الأول.
45- مقالة في الرد على ابن سينا في البرهنة على المحرك الأول.

obeikandl.com

46- مقالة في المقاييس الشرطية.

47- مسألة في ان الله تبارك وتعالى يعلم الجزئيات. والراجح أنها المشهورة اليوم بالضميمة في العلم الإلهي.

48- مقالة في الوجود السرمدي والوجود الزماني.

49- مسألة في الزمان.

50- مسائل في الحكمة.

51- مقالة في التعريف بوجهة نظر أبي نصر في صناعة المنطق ونظر أرسطو.

52-مقالة في الفرق بين نظر أرسطو في البرهان ونظر ابي نصر"، وقد انفرد بذكرها ابن ابي أصيبعة فقال"كتاب فيما خالف ابو نصر ارسطو طاليس في كتاب البرهان في ترتيبه وقوانين البراهين والحدود".

53- كتاب في الفحص عن مسائل وقعت في العلم الالهي في كتاب الشفاء لابن سينا.

54-مقالة في الرد على ابن سينا في تقسيم الموجودات إلى ممكن على الاطلاق وممكن بذاته واجب بغيره وإلى واجب بذاته.

55- القول في كليات الجوهر وكليات الاعراض.

56- مقالة في المحمولات المفردة والمركبة ونقد مذهب ابن سينا.

57- مقالة في الحد ونقد مذهبي الإسكندر وأبي نصر.

58- نقد مذهب ابن سينا في عكس القضايا.

59- نقد مذهب ثامسطيوس في المقاييس الممكنة.

60- مقالة في جهات النتائج في مقاييس المركبة.

61- مقالة في جهات نتائج المقاييس المختلطة من المطلق والضروري والممكن.

62- القول في محمولات البراهين.

63- القول في حد الشخص.

64- مقالة في الجنس والفصل والمصادقة على رأي أبي نصر فيها.

65- مقالة في جهة لزوم النتائج للمقاييس المختلطة.

66-تعليق على برهان الحكيم.

67-تعليق على المقالة السابعة والثامنة من السماع الطبيعي.

رابعا: مصنفاته فى الطب:

1- الكليات في الطب.

2- تلخيص الاسطقسات لجالينوس.

3- تلخيص القوى الطبيعية.

4- تلخيص العلل والأعراض.

5- تلخيص الأعضاء الأولية. مفقود في أصله العربي.

6- تلخيص كتاب الحميات. لا يوجد منه في أصله العربي إلا الجزء الأخير.

7 -تلخيص الخمس مقالات الأولى من كتاب الأدوية المفردة.

8- تلخيص المقالات التسع من حيلة البرء لجالينوس [1].

9-المسائل الطبية.

10- شرح أرجوزة ابن سينا في الطب.

11- مقالة في الترياق.

12- مقالة في المزاج المعتدل.

13- مقالة في مسألة من العلل والأعراض.

14- مراجعات ومباحثات بين ابن طفيل وابن رشد في رسمه للدواء في كتابه الموسوم بالكليات.

15-مقالة في حفظ الصحة. موجودة ضمن مجموع مخطوط بالاسكوريال.

16-مقالة في زمان النوبة. موجودة ضمن مجموع مخطوط بالاسكوريال.

17-مسألة في نوائب الحمى.

18-مقالة في حميات العفن.

[1] مخطوط في الخزانة الوطنية بمدريد رقم 5000، وقد نشرت تلك الشذرات في مجلة كلية الاداب - فاس - العدد 7 سنة 1984م.

obeikandi.com

خامسا: مصنفاته فى الفلك:

1- مقالة في الجرم السماوي.

2- مقالة اخرى في الجرم السماوي.

3- مقالة ثالثة في الجرم السماوي.

4- مقالة في حركة الجرم السماوي.

5- مقالة أخرى في حركة الجرم السماوي.

6- مقالة في جوهر الفلك.

7- كلام على رؤية الجرم الثابت بأدوار.

8- كلام على مسألة من السماء والعالم.

سادسا: مصنفات فى الفلاحة والحيوان:

1- مقالة في البذور والزروع.

2- مقالة في الحيوان.

obeikandl.com

المبحث السادس: موقف ابن رشد من الفرق الإسلامية والصوفية

اعتبر ابن رشد الحفيد الذى أن تأويلات المعتزلة مزقت الشرع، وأوقعت الناس فى حروب وفرقة، وأنها أى تأويلاتهم لا تقبل النصرة، ولا تتضمن التنبيه على الحق ولا هى حق، ومن ثم كثرت البدع بسببهم(1).

وبشأن موقف ابن رشد الحفيد من الأشعرية فقد أتقن الكلام على أصول الأشاعرة، وكان له دور فى التمكين للفكر الأشعرى بحكم وضعه فى الدولة الموحدية(2) ومن ثم رأيناه يعتبر أن الاختلاف بين الأشاعرة والحنابلة فى تأويل آية الاستواء وحديث النزول خلاف لا يفضى إلى الكفر، بل هو خلاف نظر حسب ورود الشرع الذى فيه الظاهر والباطن(3).

والغريب أن ابن رشد كان أحد المدافعين عن الفكر الأشعرى الذى تبنته الدولة الموحدية ومع ذلك لم يرض عن بعض التأويلات الفاسدة التى صدرت عن بعض فرق الأشاعرة واعتبر أنها مزقت الشرع، وأوقعت الناس فى حروب وفرقة، ومما أخذه على هذه الفرقة أنها تكفر من ليس يعرف وجود البارى سبحانه بالطرق التى وضعوها لمعرفته فى كتبهم ووصفهم بقوله"وهم الكافرون والضالون بالحقيقة"(4).

وأما فيما يخص موقف ابن رشد من الصوفية فيتضح من خلال قضية أبى العباس السبتى الذى اجتمع حوله كثير من المتصوفة والفقراء والمساكين مما أزعج الدولة ووقع خلاف بين فقهاء فاس من المالكية والظاهرية بشأن أبى العباس السبتى الصوفى (ت601هـ/1204م) فمنهم من يراه وليا وقطبا من الأقطاب، ومنهم من يكفره، ومنهم من يبدعه، ومنهم من يراه ساحرا، ومن ثم يتضح أن الخلاف كان واسعا بين أهل الفقه، وأهل الزهد والتصوف، ونظرا لهذا الخلاف الذى نشأ بين الفقهاء بشأن السبتى فضلا عن كثرة أتباعه نرى ابن رشد الحفيد

---

1 أنظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، 63،66.

2 حسن الشافعى، التيار المشائى في الفلسفة الإسلامية، ص121.

3 أنظر: فصل المقال، ص33-35، وآية الاستواء هى قوله تعالى"الرحمن على العرش استوى"[سورة طه آية 5]، وحديث النزول هو قول الرسول ﷺ"ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا، فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأستجيب له ؟ هل من مستغفر فأغفر له؟؟"رواه مسلم.

4 أنظر: فصل المقال، 63،64.

قاضى القضاة يرسل ابن الفرس الفقيه المالكى إلى مراكش ليطلع على مذهب الرجل فأتاه ابن الفرس وحصل مذهبه وعاد لابن رشد فأخبره عن مذهبه فقال ابن رشد"هذا رجل مذهبه أن الوجود ينفعل بالجود، وهو مذهب فلان من قدماء الفلاسفة"، وهكذا احتوى ابن رشد خلافا اشتعل بين الفقهاء، وأوضح لهم أن الأمر ليس فيه كفر ولا تبديع، ومن ثم سكت عنه ابن رشد، وممن كفر السبتى أبوالحسن على بن أحمد الصنهاجى حيث قال:"خدمت أبا العباس السبتى أربعة أعوام وأنا أعتقد فيه الكفر"، ولقد هم الصنهاجى بقتل السبتى لولا أنه شاهد منه ما نفى الكفر عن نفسه، وانكب على يده يقبلها، إذ كان الصنهاجى يظن بالسبتى أنه يدعو إلى ترك الصلاة، فلما تبين له خطأ ظنه وأخبره السبتى بأن من قال بترك الصلاة فهو كافر ندم على اعتقاده السىء بحق شيخه، خاصة وأن السبتى كان يضرب الناس فى الأسواق على ترك الصلاة فى أوقاتها[1].

(1) التادلى، التشوف، ص452-458.

obeikandl.com

المبحث السابع: نكبة ابن رشد ودوافعها

بالرغم من الحرية الفكرية التى لازمت حكام الموحدين، والتى سعوا إلى تأصيلها بشتى الطرق حتى لا يقعوا فيما وقع فيه المرابطين من قبلهم فإن عصرهم قد صاحبه ما صاحب غيرهم من الاضطهاد والتنكيب لأهل الفكر أيا كانت الأسباب ومن ذلك ما وقع فى عهد المنصور من تنكيب لابن رشد بسبب عوامل عقدية ومذهبية وشخصية، وسياسية.

فمن العوامل العقدية والمذهبية معارضة بعض فقهاء المالكية والعامة للفلسفة وتربصهم بابن رشد لاتهامه الكثير منهم بقلة الورع والخوض فى الدنيا[1]، ومن ثم وجهوا له التهم مثل قولهم أنه أنكر أن يكون خبر الريح التى أهلكت قوم عاد صحيحا قائلا"والله وجود قوم عاد ما كان حقا فكيف سبب هلاكهم"، كما أنهم نهوا الناس عن الأخذ عنه، وجاهدوه بالمنافرة والمجاهرة، مما دفع المنصور إلى إيقاع العقوبة عليه لا انتقاما منه وإنما حدا من غلواء الجمهور والفقهاء الذين درجوا على المناداة بتكفير الفلاسفة بين الحين والآخر[2].

ومنها أن ابن رشد – رغم ترجيحه كثيرا من أقوال الظاهرية، واعتماده قولهم فى الإجماع وعدم اعتداده بإجماع أهل المدينة كأصل من أصول المذهب المالكى، وانتقاده العديد من الأقوال للمالكية – راح يدافع عن تعدد الآراء الفقهية ويوضح أسباب الخلاف بين الفقهاء فى كتابه (بداية المجتهد ونهاية المقتصد)، مخالفا بذلك توجه المنصور وأبيه يوسف من قبله بضرورة نبذ الفروع والأقوال المتشعبه والإقبال على الأصول، بل اشتط لما صرح فى كتابه السابق أنه إن طال به العمر سيضع كتابا فى الفروع على مذهب مالك بن أنس، فضلا عن لجوئه إلى التعليل فى الأحكام وهو الأمر المرفوض عند الظاهرية[3].

ومنها أيضا أن ابن رشد انتقد فى كتابه (الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبه المزيغة والبدع المضلة) تأويلات الاشاعرة والمعتزلة للصفات، واعتبرها من الشبه المزيغة والبدع المضلة، كما وصفها فى كتابه (فصل

---

[1] ابن رشد، فصل المقال، ص30.

[2] االبناهى، تاريخ قضاة الأندلس، ص111 ؛ وانظر: ماجد فخرى، ابن رشد فيلسوف قرطبة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، (د.ت)، ص11،12.

[3] ابن رشد، بداية المجتهد، 216/2 ؛ وانظر: المراكشى، المعجب، ص 232؛ حسن الشافعى، التيار المشائى فى الفلسفة الإسلامية، ص126؛ فتحى ملكاوى، العطاء الفكرى لابن رشد، ص28–34، 27، 67.

المقال) بأنها"لا تقبل النصرة، ولا تتضمن التنبيه على الحق"[1]، وهى التأويلات التى تبناها الموحدون واعتبروها التوحيد الخالص فى مقابل تشبيه المرابطين وتجسيمهم، فكان لزاما على المنصور أن يتخذ موقفا ليهدىء من روع مشايخ الموحدين والطلبة والحفاظ الذين هالهم ما قاله ابن رشد فعمد إلى نفى الرجل وإحراق كتبه.

ومن العوامل العقدية والمذهبية انتقاد ابن رشد لأهل الظاهر فيما ذهبوا إليه من أن الوحى هو السبيل الوحيد إلى معرفة وجود الله، وليس العقل كما ذهب ابن رشد [2]، وقد كان الظاهرية فى عهد المنصور كثرة كاثرة بالمغرب والأندلس، فهالهم انتقاد ابن رشد لهم فى أصل من أصول مذهبهم، فراحوا يخبرون المنصور بما وقع، فما كان منه وهو الحاكم الظاهرى إلا أن أوقع العقوبة بابن رشد المالكى منعا من ثورة الظاهرية وإرضاء لهم، ودفاعا عن مذهبهم ومذهبه.

ومن العوامل الشخصية الخلافات التى كانت بين ابن رشد ومشايخ الموحدين والطلبة والحفاظ والفقهاء بسبب دراساته الفلسفية والجدلية، فضلا عن منزلة ابن رشد من المنصور والتى أثارت بذور الحقد والحسد فى قلوب مشايخ الموحدين فراحوا يبثون حول نظرياته وآرائه دعاية مسمومة ويرمونه بالمروق من الدين، ومن ثم التقت مصالح الأشياخ مع مصالح فقهاء المالكية وعكفوا على كتب ابن رشد واستخرجوا منها أقاويل تروق لهم ودسوا عليها عبارات وألفاظ محرجة منها اتهام ابن رشد بأنه قال على كوكب الزهرة فى أحد شروحه بأنها أحد الآلهة، وقد نفى ابن رشد ذلك، ومنها قوله فى شرحه لكتاب الحيوان لأرسطاطاليس"ورأيت الزرافة عند ملك البربر"مشيرا إلى المنصور ، وقد نفى ابن رشد ذلك وقال إنما التحريف من الناسخ وأنا قلت عند ملك البرين[3].

---

[1] أنظر: فصل المقال، ص66 ؛ حسن الشافعى، التيار المشائى فى الفلسفة الإسلامية، ص126،127.

[2] محمود قاسم، ابن رشد وفلسفته الدينية، ص78-82.

[3] المراكشى، المعجب، ص252،253 ؛ وانظر: ابن سعيد، المغرب، 105/1 ؛ محمد عاطف العراقى، النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد، رسالة ما جستير، آداب القاهرة، 1966م، ص35،36 ؛ عنان، عصر الموحدين، ص228، 224 ؛ عبدالحميد عبدالله عبدالرحمن، ابن رشد وموقفه من قضية النقل والعقل، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين بطنطا، جامعة الأزهر، 1990م، ص10

كما اتهموا ابن رشد بنفى البعث والخلود، وبأنه قال أن الإنسان لا يعاقب ولا يثاب إلا فى هذه الحياة الدنيا، وأن ما جاء عن الثواب والعقاب والبعث إنما لتخويف العامة وإصلاح حالهم والتمسك بالفضيلة والمطلوب فى الدين هو الطاعة وليس العلم(1)، وكتبوا محضرا ضمنوه مقالات وأوراق كثيرة نسبوها إلى ابن رشد وحاولوا أن يرفعوها إلى المنصور لكنهم فشلوا فى أول الأمر لانشغال المنصور بمواجهة حركة الاسترداد المسيحى ضد نصارى اسبانيا، ومن ثم صعد الخصوم من المالكية والأشياخ الأمر وراحوا ينشرون خبر محضرهم واتهاماتهم لابن رشد فى كل مكان بالأندلس، الأمر الذى دفع المنصور إلى نزوله على رأيهم وأرسل لابن رشد وعقد مجلسا علنيا فى جامع قرطبة انتهى إلى إدانتة ابن رشد وتم نفيه من قرطبة إلى إليسانة جنوب قرطبة قريبا من نهر شينل، وأحرقت كتبه أمام الناس تسكينا لهذه الثورة التى كادت أن تعصف بحكم المنصور فى وقت كان مشغولا فيه بالجهاد(2).

لم يكتف المنصور بهذه العقوبة فحسب بل أتبع ذلك بكتاب وجهه إلى مراكش وغيرها من قواعد المغرب والأندلس أوضح فيه بعد الفلسفة عن الشريعة، وتشعب أهلها فى القضية الواحدة فرقا، وحذر الناس من خطورتها وأهلها على الإيمان(3).

ومن العوامل السياسية توثيق ابن رشد صلاته بالسيد أبى يحيى أخى المنصور ووالى قرطبة ومخاطبته فى خاتمة كتابه الضرورى فى السياسة بقوله"أعانكم الله على ما أنتم بصدده وأبعد عنكم كل مثبط بمشيئته وفضله"(4) رغم الجفاء الذى كان بين الأخوين بسبب دعوة أبى يحيى الناس لبيعته أثناء مرض المنصور سنة 588هـ/ 1192م، فكأن ابن رشد قصد من هذه الصلة ومن هذا الكلام أن يقر والى قرطبة على محاولته بالخروج على المنصور، ويعلن أن المنصور حاكم مستبد لا يصلح للحكم، فكان على المنصور بعد أن تخلص من أخيه بالقتل أن

---

1 على محمد راضى، الأندلس والناصر، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، (د.ت)، ص89.

2 عنان، عصر الموحدين، 225،224 ؛ ذكر ابن سعيد إليسانة باسم بيانة أنظر: المغرب، 105/1 ؛ ومن التهم التى وجهت إلى ابن رشد أنه من أصل يهودى ومن ثم اقترح خصومه على المنصور نفيه إلى إليسانة مدينة اليهود أنظر: محمود قاسم، ابن رشد وفلسفته، ص28.

3 عنان، عصر الموحدين، ص227،226 ؛ وانظر: عبدالحميد عبدالله عبدالرحمن: ابن رشد وموقفه من قضية النقل والعقل، ص10

4 أنظر: الضرورى فى السياسة، ص208.

ينظر فى أمر ابن رشد فأمر بنفيه تأديبا له، ولم يسرف فى عقابه مراعاة لفضله فى التمكين للدولة منذ عهد عبدالمؤمن بن على، ومن العوامل السياسية جرأة ابن رشد فى مخاطبة المنصور دائما أمام الناس بقوله"تسمع يا أخى"، وكان المنصور يسر له هذه الجرأة فى نفسه، إذ للحكام ألقاب يلقبون بها هيبة وإجلالا(1).

ومنها – العوامل السياسية- اتهام ابن رشد الحكم الموحدى بالطغيان حيث قال"فى بلادنا قرطبة بعد سنة 500هـ/1106م كان الحكم جماعيا، ولكن الحال انقلب بعد سنة 540هـ/1145م إلى الطغيان"، وقال:"إن الطغيان واضح فى تصرفات حكام زماننا وليس من خلال القول فحسب"، وقال:"إن الحكم الجماعى يتحول إلى حكم طغيان كما يحدث الآن فى مدينتنا هذه"يعنى قرطبة(2).

أما ما ذهب إليه أحد الباحثين من أن نكبة ابن رشد ترجع إلى مرض نفسى للمنصور فى أخريات حياته، وهو ما جعله يتخذ القرارات المتعاكسة المضطربة حتى أن نهايته تكاد تكون مجهولة إذ نسج حولها الكثير من الخيال فضلا عن أن ابنه محمد الناصر تولى مقاليد الحكم وهو على قيد الحياة(3) فلا يمكن قبوله لعدة أمور منها أنه لم يذكر أحد من المؤرخين الثقات المعاصرين للأحداث أو من جاؤا بعدهم أن المنصور أصيب بمرض نفسى. كما أن الاحتجاج بأن نهاية المنصور نهاية مجهولة لا يمكن قبوله لأن المراكشى وهو معاصر لهذه الأحداث لم يذكر أية خيالات نسجت حول موت المنصور، وإنما ذكر موته قائلا"وكانت وفاته فى غرة صفر سنة 595هـ/1198م"(4).كما أن الاحتجاج بأن ابن المنصور تولى الحكم وأبوه حيا ليس بصحيح لأن الناصر على قول المراكشى وهو المعاصر للأحداث لم يتول الخلافة إلا بعد وفاة ابيه، وإنما كان أبوه قد رشحه للخلافة وتمت له البيعة الصغرى فى حياة

---

1 عنان: عصر الموحدين، ص227،228 ؛ وانظر: أحمد عزاوى، رسائل موحدية، 2/20،21 ؛ الجابرى، ابن رشد، ص66.

2 نقلا عن كتاب ابن رشد فيلسوف الشرق والغرب، 1/311.

3 عبدالعباس إبراهيم حمادى، الحركة الفكرية والعلمية بمدينة مراكش منذ تأسيسها حتى سقوط الدولة الموحدية وأثرها على المراكز الثقافية الإسلامية جنوب الصحراء، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1980م، ص370،371.

4 أنظر: المعجب، ص253.

أبيه سنة 586هـ/1190م فيبدو أن صاحب هذا الرأى خلط بين البيعتين الصغرى التى تمت فى حياة المنصور، والكبرى التى تمت بعد وفاته[1].

ومما سبق يتضح الآتى: أن فقهاء المالكية لم يكونوا كلهم على عداء مع الفلسفة، ومن ثم فقد وجد منهم من تأول كلام ابن رشد وانتحاله وفى مقدمتهم جماعة من أكابر إشبيلية خاطبوا المنصور بشأن ابن رشد وزملائه وتشفعوا لهم، ونفوا بالأخص تهمة المروق والزيغ عن ابن رشد، وشهدوا بحسن إيمانه وسلامة عقيدته[2].

كما أن تهمة المروق التى وجهت لابن رشد لم تكن قاصرة عليه بل وجهت إلى عدد من زملائه وتلاميذه ممن يشتغلون بالفلسفة وعلوم الأوائل مثل أبى جعفر أحمد بن جرج الذهبى، وأبى الربيع الكفيف، وأبى العباس الحافظ الشاعر[3]، محمد بن إبراهيم اللواتى المشهور بالمهرى أو الأصولى(ت612هـ/1215م) والذى كان يحضر مجلس المنصور مرارا فيعامل المنصور بضروب من الجفاء، وكان ذلك من أسباب تعريضه للَعن الناس ونصبه لبصاقهم فى وجهه مع توجيه تهمة دراسة الفلسفة إليه وسأله المنصور هل نظرت فى العلم الذى نكب بسببه ابن رشد فأجاب نعم، فكان ذلك سببا فى إلحاقه بابن رشد على حد قول المراكشى وغرب إلى أغمات حتى عفى عنه[4]. كما أن الموحدين كظاهرية وجدوا معارضة من قبل قطاع ليس بالقليل من المالكية بسبب نكبة ابن رشد التى فسرها البعض من المالكية على أنها ضد الفروع، ومن ثم كان من الفقهاء من يتبارى فى حفظ الفروع ليقطعوا الطريق حسب ظنهم على من يريد النيل منها، وكانوا أنشط ما يكون خلال هذه النكبة لتعقب آراء الموحدين الداعية إلى نشر الأصول، والإعراض عن الفروع[5].

ويتضح مما سبق أيضا أن ابن رشد ألف كتاب الحيوان سنة 565هـ/1169م أى فى عهد يوسف وليس فى عهد المنصور، وهو ما يؤكد أن الأمر كان تلفيقا لابن رشد من قبل

---

[1] المراكشى، المعجب، ص254.

[2] االبناهى، تاريخ قضاة الأندلس، ص111 ؛ وانظر: عنان، عصر الموحدين، ص228.

[3] عنان، عصر الموحدين، ص225.

[4] المراكشى، الذيل والتكملة، السفر الثامن القسم الأول، ص271،272.

[5] التازى: جامع القرويين، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، 1972م، ص120.

الحاقدين والحاسدين لا سيما عائلة ابن حمدين المالكية، وعائلة ابن مغيث قاضى قرطبة قبل ابن رشد وكانت مالكية هى الأخرى، وكان العداء والمنافسة بين هاتين العائلتين وبين عائلة ابن رشد سببا فى تحريض المالكية والعامة ضد ابن رشد، وقد حمل لواء المعارضة المالكية كل من أبى العباس بن جوهر، والخطيب أبى على الحسن بن حجاج، والقاضى أبى عبدالله بن مروان، وابن زرقون(1).

كما أن الشعراء كان لهم دور فى تحريك العامة على ابن رشد وفى مقدمتهم ابن جبير الرحالة الشهير صاحب الرحلة، الذى استخدم سلاح الشعر ضد ابن رشد فقدح فيه، ومدح المنصور على اضطهاده لابن رشد وغيره من الفلاسفة(2)، كما أن ابن رشد واجه معارضة فى حياته وبعد وفاته من قبل الأشاعرة بسبب ما ذكره بشأن تأويلات الأشاعرة، وقد تزعم هذه المعارضة القاضى أبوعامر يحيى بن ربيع الأشعرى (ت 639/ 1241م) ودعا إلى رفض قبول علوم الأوائل على إطلاقها، وعدم الاستناد إلى آراء الفلاسفة(3).

أضف إلى ذلك أن اضطهاد المنصور لابن رشد يمكن أن يفسر فى إطار الصراع الفكرى بين المالكية والظاهرية إذ إن ابن رشد سليل أسرة مالكية عريقة ورغم تأثره بالمذهب الظاهرى فى نقاط فإنه لم ينس مذهبه ومذهب آبائه، ومن ثم كان بين الحين والآخر يحن لمذهبه الذى رآه يتهاوى أو كاد أمام الموحدين الظاهرية فتارة ينتقد الحكم الموحدى الظاهرى على أنه نقدا سياسيا لكنه فى الحقيقة نقدا لمذهب يرى فيه القهر لمذهبه المالكى، وتارة يصدر كتابا يوضح فيه فروع مذهب مالك، وهو الأمر الذى لم يكن المنصور وهو الظاهرى العنيد أن يقبله، خاصة وأن جماعة من فقهاء المالكية من أنصار الفروع كانوا قد التفوا حول ابن رشد، وكان لهم دور فى دعوة المالكية إلى التكتل ضد الظاهرية خاصة بعد اضطهاد ابن رشد كما سبق.

---

1 أنظر: عنان، عصر الموحدين، ص 225 ؛ الجابرى، ابن رشد، ص62،63 ؛ مونتادا، ابن رشد حياة فيلسوف واضطهاده، ضمن ندوة الأفق الكونى لفكر ابن رشد، ص37،32.

2 ومما قاله ابن جبير: أطلعك الله سر قوم شقوا العصا بالنفاق شقا
تفلسفوا وادعوا علوما صاحبها فى المعاد يشقى
واحتقروا الشرع وازدروه سفاهة منهم وحمقا.أنظر: مونتادا، ابن رشد، ص36؛ محمود قاسم، ابن رشد، ص31-33.

3 مونتادا، ابن رشد، ص38.

ومما سبق يتضح أيضا أن بعض الحاقدين على ابن رشد من المالكية وغيرهم تمادوا فى غيهم حتى ألبوا العامة على ابن رشد فطردوه هو وابنه عبدالله من مسجد قرطبة، وقد حانت صلاة العصر، بل اشتطوا أبعد من ذلك فزعموا أن ابن رشد يرجع فى نسبه إلى أصل يهودى، ومن ثم طالبوا المنصور بنفيه إلى إليسانة مدينة اليهود لزعمهم أنه ينسب فى بنى إسرائيل، وأنه لا يعرف له نسبة فى قبائل الأندلس(1).

كما أن الظاهرية عارضوا ابن رشد وانتقدوه أثناء هذه النكبة، وكان فى مقدمتهم القاضى أبومحمد عبدالله بن حوط الله (ت612هـ/1215م) الذى أنكر أنه أحد تلاميذ ابن رشد، وقام بحذف اسم ابن رشد من الأحاديث التى رواها عنه وذلك لأمور: أولها ما أكده ابن زرقون المالكى بأنه أعار ابن رشد كتابا يتضمن أسباب الخلاف الواقع بين أئمة الأمصار لبعض فقهاء خراسان بيد أن ابن رشد لم يعده إياه، وانتحله وأودعه كتابه بداية المجتهد، وأضاف إليه شيئا من كلام ابن عبدالبر المالكى، وابن حزم الظاهرى(2)، ثانيها انتقاد ابن رشد لإجماع الصحابة واعتباره ليس أصلا مستقلا بذاته(3)، مبطلا بذلك أصلا من أصول الظاهرية التى بنى المذهب عليها منذ نشأته، ثالثها تأييد ابن رشد لأبى يحيى والى قرطبة وأخى المنصور بالخروج علي المنصور الحاكم الظاهرى الذى مكن للظاهرية ولمذهبهم، وكان عصره عصر ازدهار ورخاء وتقدم.

وتجدر الإشارة إلى أن تنكيب المنصور لابن رشد لم يكن تنكيبا للفلسفة والفلاسفة كما ظن البعض لعدة أسباب: منها أن المنصور كان يعشق الجدل والمناقشات الفلسفية ويعقد مجالس خاصة يستمع فيها إلى آراء ابن رشد وشروحه ولا سيما علاقة الفلسفة بالدين، وكان المنصور يعظم ابن رشد ويقدره إلى حد أنه كان يجلس بجواره مباشرة ويتعدى بموضعه مواضع أشياخ الموحدين الأكابر والطلبة والحفاظ والفقهاء، بل إن المنصور بعد تنكيبه لابن رشد جنح إلى تعلم الفلسفة حتى قبل أن يعفو عن ابن رشد(4).

---

1 محمود قاسم، ابن رشد، ص34،28.

2 مونتادا، ابن رشد، ص37.

3 عثمان بن فضل، مساهمة ابن رشد فى تطوير منطق القانون، ضمن ندوة الأفق الكونى لفكر ابن رشد، ص233.

4 المراكشى، المعجب، ص253 ؛ وانظر: عنان، عصر الموحدين، ص223،224.

كما أن المنصور عفى عن ابن رشد وأعاده إلى البلاط الموحدى، واعتمد على تأييده فى حشد الناس لحملته ضد نصارى اسبانيا، كما عفى عن أصحابه وأعادهم إلى مناصبهم، ومنهم محمد بن إبراهيم اللواتى الذى أعيد إلى قضاء بجاية[1]، وأحمد بن عتيق بن جرج الذهبى (ت601هـ/1204م) أعيد إلى مشيخة طلبة الحضرة، وصار من أخص الجلساء وأرفعهم منزلة عند المنصور ثم ابنه الناصر[2] مما يؤكد أن الأمر كان يحمل فى طياته بعدا سياسيا خاصة وأن المنصور كان مقبلا على حرب دينية مع نصارى أسبانيا فأراد أن يبرهن على شدة تمسكه بدينه عن طريق الاتهام العلنى لرجل كان صريحا فى إعلان نظرياته العقلية[3].

كما أن عملية التنكيب لابن رشد والفلاسفة تمت فى نفس الوقت الذى حارب فيه المنصور كتب الفروع ودعا إلى الأصول، فضلا عن أن عملية التنكيب بمن تطاول على ابن حزم والمذهب الظاهرى كانت متزامنة مع ما حدث للفلاسفة، الأمر الذى يؤكد أن ما حدث لم يكن موجها ضد الفلسفة والفلاسفة فحسب، وأن ما وقع كان ضمن مشروع المنصور النهضوى الذى يهدف إلى نبذ الفروع والتقليد، والتمكين للأصول والاجتهاد[4]، خاصة إذا علمنا أن الإشاعات انتشرت بين العامة بأن الموحدين زنادقة لحرقهم كتب المذهب المالكى، واضطهادهم من يتطاول على ابن حزم والمذهب الظاهرى، ومن هنا كان لزاما على المنصور أن يحول الموقف لصالحه من خلال إعلانه نبذ كتب الفلسفة وتنكيبه بالفلاسفة، وهو الأمر الذى كان يلقى قبولا من العامة[5].

---

[1] المراكشى، الذيل والتكملة، السفر الثامن القسم الأول، ص271،272 ؛ وانظر: بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكى، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1988م، ص 329 ؛ عنان، عصر الموحدين، ص228.

[2] ابن سعيد، الغصون اليانعة، ص40.

[3] أوليرى، الفكر العربى ومكانته فى التاريخ، ترجمة تمام حسان ومراجعة محمد مصطفى حلمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1997م، ص176.

[4] عزاوى، رسائل موحدية، 22/2 ؛ وانظر: مونتادا، ابن رشد، ص31.

[5] خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية، ص201.

obeikandl.com